

## معاني الحب و الأخوة في المجتمع



الإنسان كما هو عقل وإرادة، هو مشاعر وعواطف ووجودان، وهو نفس وروح، كما هو جسد وأجهزة مادية، تعمل وفق قوانين بيولوجية وفسيولوجية.

والحب حالة نفسية وعاطفية تنبع من أعماق الإنسان لتمتحنها السعادة والهنا، وربطه بالمحبوب ارتباط الانسجام والرضي والتوفيق، حتى يكاد المجدان أن يتلاحدا، إذا ترسّخ الحب، وتحول إلى شعور باحتواء المحبوب. فيشعر المحب، فيما وراء الوعي أن لا اثنينية بينهما. فهما حقيقة واحدة، وذاتان متدمجان في ذات النفس. والحب هو رابطة روحية، وإحساس نفسي، وشعور وجوداني يعيش في أعماق النفس، ويتجسد أشكالاً شتى من التعبير، كالثناء والتقبيل والتحية والمصافحة والنصححة والمعانقة ورفع الأذى، والهدية والمصاحبة في السَّيِّر والزيارة، والاحتفاظ بالصورة، وبتبادل كلمات الود، والعيش في مكان مشترك.

ويتجسد الحب في مجالين اثنين هما: المجال الحسي؛ وهو الحب المألوف في عالم الإنسان، وثانيهما المجال الروحي؛ وهو الحب الروحي المتمثل في حب الإنسان وللقيم والمعاني المجردة، كقيم الحق والعدل.

ولأهمية الحب في الحياة، وقيمه في سعادة الفرد والأسرة والمجتمع، اعتبر الإسلام الحب قيمة عُليا في رسالته، وهدفاً سامياً من أهدافه، يسعى بشتى الوسائل لتحقيقه، وتكوينه في النفس البشرية، وإشاعته في المجتمع، وبناء الحياة على أساس الحب والمودة.

ونعرف قيمة الحب في الإسلام من تعريف الإسلام للحب.. نعرفه عندما يُعرِّف الإسلام نفسه بأزمه الحب، وبأنه الحب هو الإسلام، وأن قيمة كبرى يسعى لتحقيقها في الحياة هي الحب.. حب الله، وحب الخير، وحب الإنسان.

فالدّين هو الحبّ، والحبّ هو الدّين..

هذا التعريف الفريد في عالم الإنسان للدّين والحبّ، يُعرّفنا بمحتوى الدّين ومحتوى الحبّ.. فالدّين حبّ للناس وللخير، والحبّ مقدّس عندما ينطلق من حبّ الله، عندما ينطلق من حبّ الخير المطلق والجمال المطلق.

وكم هي البشرية بحاجة إلى حبّ الإسلام، الحبّ المجرّد من الربح والحساب المادي، الحبّ الروحي والعاطفي الصادق..

ولم تكن مفاهيم الحبّ، قيماً فلسفية مجرّدة، بل جسّدها الإسلام منهجاً عملياً يستوعب قلب الإنسان وروحه وعقله وحسّه ونشاطه وغراائزه. فالحبّ في الإسلام هو:

(حبّ الله، حبّ الوالدين، حبّ الزوجة، حبّ الأبناء، حبّ الوطن والأرض، حبّ الناس، حبّ الجمال، حبّ الطبيعة، حبّ العلم، حبّ الخير.. إلخ).

ومن حبّ الله يبدأ الحبّ في الإسلام. وضّح القرآن هذه الحقيقة الجوهرية في عمق الإسلام، بقوله: (قُلْ إِنَّ كُنْدُتُمْ تُحِبِّي وَنَّ أَنَّ فَاتَّبَعْتُونِي يُحِبِّي بِكُمْ أَنَّ) (آل عمران/ 31).

وحبّ الله في الإسلام يعني حبّ المؤمنين به، وحبّ الخير للبشرية، وحبّ الخير والكمال فيما يفعل الإنسان وفيما يقول ويعايش..

وفلسفة الحبّ الإلهي، هي فلسفة العشق الذي ملأ عالم الموجودات فشدّها إلى المبدأ، وشوّقها في حركة المادة والروح للبحث والسعى نحو الكمال..

فصنع روحًا بشرية توّاقة إلى الحبّ والبحث عن الجمال في عالم المحسوس، وعوالم القيم والاعتبار..

كما يتجلّى مبدأ الحبّ الإلهي في الخطاب القرآني، وقد ملأ الحياة بعد أن ملأ القلوب وال NFOS، وحبّ الله حصانة للنفس البشرية من النزوع إلى الجريمة والعدوان، وتطهير للنفس والوجودان من الحقد والكرابية للحقّ والخير والجمال.

ويعمل الرسول (ص) جاهداً على أن يشيد المجتمع على أساس الحبّ والولاء في الله، فيوضّح للناس هذه الحقيقة بقوله: "وَدَّ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ" للؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ومن أحبّ في الله، وأبغض في الله، وأعطي في الله، وماندّع في الله، فهو من الأصفياء".

ويأتي بيان نبوي آخر ليعمّق الحبّ في النفوس، ويقيم لغة التخاطب على أساس الحبّ، فيعلم المسلم كيف يفصح عن حبه لأخيه، ليشيع في نفسه الحبّ، ويسعّه أنزهه في مجتمع يكتنفه الحبّ، ولا مكان فيه للحقد والكرابية. قال (ص): "إذا أحبّ أحدكم أخيه، فليعلّمه إيمانه".

والرسول (ص) لم يبلّغ أفكاراً نظرية، ولا فلسفة أخلاقية مجرّدة، بل هو حامل دعوة لبناء الإنسان بناءً عملياً. لذا نجده جسد قيم الحبّ والولاء تجسيداً عملياً حين طبق مبدأ المؤاخاة بين المسلمين، فآخر بين كلّ اثنين منهم، وأخر بين نفسه (ص) وعليّ بن أبي طالب (ع).

فأصبح المجتمع بعد المؤاخاة صورة للحبّ والأخوة، وكم تجسد هذا الحبّ إيثاراً، فقسم الأنصار

أموالهم، قسماً لأنفسهم وقسماً للهجاجين، وحين تجسس الإيثار صورة تفيض بالحب والمؤاخاة، أثني الله سبحانه على صورة الحب الاجتماعية تلك بقوله :

(وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحًّا نَفْسَهُ فَآتُوكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر/9).

وعلى أساس الحب يؤسس الإسلام الأسرة، فعلى أساس الحب تُبني العلاقة بين الزوجين، وبين الآباء والأبناء. وأصدق ما يحسم هذه الروح هو قوله تعالى: (وَمَنْ آتَيْتَهُمْ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَرْواحًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الرُّوم/21).

والرسول (ص) يدعو الرجل إلى أن يُشعر زوجته بالحب ليثبت في قلبها. إنّه يصوّر عطاء تلك الكلمة الخالدة بقوله: "قول الرجل للمرأة: إنّي أحبّك، لا يذهب من قلبها أبداً".

وفي بحبوحة الأسرة يتحرّك الحب، فيملأ قلوب الأبناء، كما ملأ قلوب الآباء. إنّ رسالة الإسلام تدعو الآباء إلى تربية أبنائهم على الحب، فالحب حاجة نفسية يؤدّي فقدانها أو نقصها إلى أمراض وحالات نفسية خطيرة؛ لذا دعا الإسلام إلى التعامل مع الأبناء بروح الحب، وإشعارهم بتلك العواطف والأحساس، لينشأوا على حب الآباء، وحب كلّ من حقّه أن يعامل بهذه العاطفة.

ويؤكّد الرسول (ص) على حبّ الأبناء ليؤسّس في النفوس تلك العواطف الجميلة. ولكي يتحوّل الإحساس بالحب علاقة حسّية بين الآباء والأبناء يدعو الرسول (ص) الآباء إلى تقبيل أبنائهم، فإنّه إشعار عملي للأباء والأبناء برابطة الحب. كما رُوي عن الرسول (ص) قوله: "مَنْ قَدِيلَ ولدَهُ كَتَبَ اللَّهُ سَنَةً".

ولم يكن الحب في الإسلام عواطف وأحساس وجاذبية تربط الإنسان بالله سبحانه، والإنسان بالإنسان فحسب، بل والحب رابطة نفسية تربط الإنسان بعالم الطبيعة والأرض والأشياء والجمال.

وما أجمل التعبير النبويّ الكريم عن ذلك حين وصف الخالق العظيم بقوله: "إنّ الله جميل يحبّ الجمال".

وكم هو جميل تعبير الرسول (ص) عن مشاعر الحب في نفسه الكريمة تجاه الأرض والأشياء، وكم هو يسعى في ذلك لأن يصنع من الإنسان روحًا وعواطف تفيض بالحب والارتباط مع عالم الطبيعة والأرض.

روى كتاب السّيّر ورواة الحديث أنّ الرسول (ص) كان يسير في أصحابه فطلع لهم جبل أحْدُد، فحين رأاه قال: "هذا جبل نحبّه ويحبّنا".

وكما أنّ للحب جانبه الإيجابي الكبير في النفس عندما يوجّه توجيهًا سليمًا، فإنّ له آثاره السلبية أيضًا عندما يُبالغ فيه، ومن غير أن يوجّه توجيهًا سليمًا.. فالحب المفرط للأبناء أو الزوجة أو الأصدقاء، مثلاً، الذي يستولي على عواطف الإنسان وعقله، الحب الأعمى، كما يُقال؛ يقود إلى الإساءة إلى شخصية المحب وإلى المحبوب نفسه..

فالحب المفرط للأبناء والدّلال، يجعل الآباء يستجيبون لأبنائهم استجابة غير محدودة، ويح涸ون عن محاسبتهم على الإساءة، أو منعهم عن ممارستها. كما قد يقود الحب المفرط للزوج أو الزوجة، بعض الأزواج، مثلاً، إلى مشاكل عائلية كثيرة، فيقود هذا الحب إلى الإساءة إلى بقية أفراد العائلة. أو

تصرّف بعضهم تصرّف يسيء إلى العلاقة الزوجية ومشاعر الحبّ نفسها.

ونقرأ في الحديث النبوى الشريف توجيهها لمشاعر الحبّ، وضبطاً لها. قال الرسول (ص) : "أَحْبَبَ حَبِيبَكَ هُونَاً مَا، فَقَدْ يَكُونُ بِغِيْضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغَمَ بِغِيْضَكَ هُونَاً مَا، فَقَدْ يَكُونُ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا". ▶